الاستهزاء والسخرية في العصر الجاهلي

أ.م.د. رجاء لازم رمضان

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

Prejudice and ridicule in the pre-islamicera

Assit.prof.Dr. Ragaa Lazeem Ramadan
Mustansiriya University/Faculty of Basic Education
Emile: dr-ragaa.Lazeem@yahoo.com

Abstract
The mockery is different from the ridicule that any ridicule is ridiculing and not vice verse, because ridicule is the result of action or action, eiter mockery is with out work or action.
The purpose of ridicule and ridicule to minimize the person as well as to try to imitate others.
The oronic words are (mockery, cynicism, Laughter, humming, scorn, …)
There are Two trends of cynicism, one of which is mixed with spelling and The other is mixed with humor.
Key words: mockery, irony, sarcasm

الملخص:

قامت هذه الدراسة على الاستهزاء والسخرية في العصر الجاهلي وكانت من أسبابها الظروف الاجتماعية التي أثرت على المجتمع عامة والفرد خاصة.

واتضحت من خلال الدراسة ان الاستهزاء يختلف عن السخرية أي ان كل سخرية استهزاء وليس العكس ؛ لأن السخرية ناتجة عن عمل أو فعل أما الاستهزاء فيكون بلا عمل أو فعل.

والغرض من الاستهزاء والسخرية هو التقليل من شأن الشخص والمحاولة في اضحاك الآخرين.

استعمل الشاعر الساخر بصورة مباشرة الألفاظ الدالة على السخرية مثل (سخر، ساخر وضحك وهكم، وهزء،...).

وكانت من أكثر الموضوعات سخرية هي الاستهزاء والسخرية من الخصم والذي كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالهجاء.

أما الموضوعات التي أقلها سخرية نجدها في السخرية من الأهل.

وللسخرية اتجاهان أحدهما ممزوج بالهجاء والثاني مائل إلى الفكاهة والدعابة...

الكلمات المفتاحية: الاستهزاء، السخرية، التهكم

المقدمة:

قامت هذه الدراسة على السخرية والاستهزاء في الأدب الجاهلي (شعر، نثر) ومضيت اجمع الاشعار التي تتعلق بالسخرية والاستهزاء. وتناولت هذهِ الفترة المشكلات التي عانى منها الشعراء ما قبل الاسلام، وجعلت بناء هذه الدراسة على وفق مباحث تناولت في **المبحث الأول:**

أولاً: السخرية والاستهزاء لغة واصطلاحاً.

ثانياً: السخرية والاستهزاء في القرآن الكريم.

ثالثاً: السخرية والاستهزاء في الحديث الشريف.

أما المبحث الثاني (موضوعات الاستهزاء والسخرية في الأدب الجاهلي) وفيه:

أولاً: الاستهزاء والسخرية من الخصم.

ثانياً: الاستهزاء والسخرية من اللون الأسود.

ثالثاً: الاستهزاء والسخرية من الأهل والأقارب.

رابعاً: الاستهزاء والسخرية من الشيب.

خامساً: الاستهزاء والسخرية من أمور أخرى.

سادساً: الاستهزاء والسخرية في الأمثال.

وختمت البحث بأهم ما توصل إليه البحث من استنتاجات، ذاكرة ما أعانني من مصادر لإكمال بحثي هذا.

المبحث الأول

أولاً: السخرية والاستهزاء لغة واصطلاحاً

معنى السخرية لغةً:

يقال: سخر منه وبه سَخْراً وسَخَراً وسُخراً بالضم وسُخْرةً وسُخْرِياً وسِخْرياً وسُخْرِية: هزئ به، والاسم السخرية والسخري ويكسر [1].

معنى السخرية اصطلاحاً:

معنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائض على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في القول والفعل، وقد يكون بالاشارة والايماء[2].

معنى الاستهزاء لغة:

الاستهزاء مصدر قولهم: استهزأ يستهزأ، يقال: هَزَأ منه وهَزِأ به، يَهْزَأُ هُزْءاً بالضم، وهُزُءاً بضمتين، وهزوءاً بالضم والمد، ومَهْزُأة على مَفْعُلة بضم اعين، أي: سَخِر منه [3].

معنى الاستهزاء اصطلاحاً:

الاستهزاء هو: ارتياد الهزء، من غير ان يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله. وقال ابن تيمية: (الاستهزاء هو: السخرية وهو حمل الاقوال والافعال على الهزل واللعب لا على الجد والحقيقة، فالذي يسخر بالناس هو الذي يذم صفاتهم وافعالهم ذماً يخرجها من درجة الاعتبار، كما سخروا بالمطوّعين من المؤمنين في الصدقات)[4].

ثانياً: السخرية والاستهزاء في القرآن الكريم

قال ابن كثير: ينهى تعالى عن السخرية بالناس واحتقارهم والاستهزاء بهم.. فانه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله واحب إليه من الساخر وقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [5] أي لا تلمزوا الناس. والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون. وقوله: إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ [6] أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها [7].

1. ويتوعد الله سبحانه وتعالى بأشد العذاب في سورة الهمزة الآية (1–4) إذ يقول: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ.. فالهماز: الذي يعيب الناس ويطعن عليهم

بالإشارة والفعل. ومن صفات هذا الهماز اللماز، أنه لا همَّ له سوى جمع المال وتعديده وليس له نية انفاقه في الخير وقد ذكر الله تعالى عاقبة المستهزئين والساخرين وانعكاسها عليهم يوم القيامة بصورة يصبح الساخر موضع سخرية واستهزاء من طرف عباده المستضعفين في الحياة الأولى. قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ)(وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ)(وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ)(وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ)(وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ)(فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ[8]، وقوله: أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ [9] ومعناه أي كان عملي في الدنيا عمل ساخر غير مصدق.

ثالثاً: الاستهزاء والسخرية في الحديث الشريف

نهى الرسول الكريم (ﷺ) عن السخرية حيث قال: " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله اخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا – ويشير إلى صدره ثلاث مرات – بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه " [10] أخرجه الامام مسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

وأخرج البخاري عن المعرور قال: لقيت أباذر بالرَّبذة حُلَّة وعلى غلامه حلَّة، فسألته عن ذلك، فقال: اني سابببتُ رجلاً [11] فعيرتُهُ بأمه[12]، فقال النبي (ﷺ): " يا اباذر، اعيرته بأمِّه ؟ انك امرؤ فيك من الجاهلية[13]، اخوانكم حولكم جعلكم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس وتكلفوهم ما يغلبهم، فن كلفتموهم فاعينوهم[14].

المبحث الثاني

موضوعات الاستهزاء والسخرية في الادب الجاهلي

أولاً: الاستهزاء والسخرية من الخصم

ومفهوم السخرية يقارب مفهوم الهجاء والذي يهتم بتعداد معايب المهجو ونجد السخرية ودوافعها في الشاعر وعواطفه. وهذا حسان بن ثابت يشبه قوم مهجوه بالحيوانات ؛ فقال:

ألتيس عندهم كالجواد بل التيس وسطهم أنجبُ

فلا تدعهم لقراع الكماة ونادِ الى سوأة يركبوا[15]

والسخرية عند بعض الشعراء تلبس لبوس التهكم وقد تتسم بالدعابة الا ان السخرية عند حسان قاسية فهو يمتلك سخرية مرة بحيث تجعل المهجو اضحوكة زمانه ؛ إذ يقول هاجياً الحارث بن كعب، وساخراً منه:

حارث بن كعب الاحلام تزجركم عني وانتم من الجوف الجماخير

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال واحلام العصافير[16]

ومثله الشاعر طرفة بن العبد هجا وسخر من عمر بن هند مشبهاً إياه بالرغوث وكان هذا سبباً في مقتله، إذ يقول:

فليت لنا مكان الملك عمروٍ رغوثاً حول قبتنا تخور[17]

والرغوث (هي الموضع من الحيوانات).

وقال حسان بن ثابت يحرض ابي البراء على عامر بن الطفيل الذي سخر من ابي البراء متخذاً من لفظة (تهكم) وسيلة للاستهزاء به، إذ يقول:

بني ام البنين ألم يرعكم وانتم من ذوائب أهل نجد

تهكم عامر بأبي براء ليخفره، وما خطأ كعمد[18]

والسخرية عندهم لبست لباس التهكم. ويقول عبيد بن الابرص:

ولقد تطاول بالنار لعامر يوم تشيب له الرؤوس عصيب

حتى سقيناهم بكأس مرة فيها المثل ناقعاً، فليشربوا[19]

فالتهكم هنا في استعارة الكأس لما لقيه الاعداء من بلاء والتهكم هنا في (فليشربوا) أي يشربوا هنيئاً من الكأس الذي كنى عنه الموت وهذهِ سخرية ممزوجة بتهديد.

ويسخر النابغة الذبياني في هجائه للنعمان بن المنذر وكان في القدم يشبهون الرجل الذليل بالفقع (الكمأة البيضاء). فيقال انه فقع قرقر لأن الدواب تنجله بأرجلها، فيقول:

حدثوني، بني الشفيقة ما يمنع فقعا بقرقر ان لا يزولا [20]

لأن الفقة لا أصول لها ولا اغصان فيقال فلان فقفة القاع[21].

وقد تخرج السخرية إلى التهديد مثلما فعل زهير بن ابي سلمى وهوان (يسار) كان راعي الابل وبعدما أصبح اسيراً صار سيد قوم الحارث واستغل زهير هذه الصفة واطلق أبياته ومن ذلك قال شاعرنا قصيدته هذهِ، وهو يهدد رهط الحارق بن الورقاء وهذهِ الأبيات مليئة بالهجاء والسخرية ؛ إذ يقول:

تعلم ان شر الناس سواحي ينادي في شعارهم يسار

ولولا عسية لرددتموه وشر منجة عسب مغار[22]

يبربر حين يعدو من بعيد إليها وهو قبقاب قطار

اذا ابزت به يوماً اهلت كما تبرى الصعائد والعشار

جعل زهير في هذه الأبيات هدفاً للسخرية والاستهزاء لاعدائه الذين يلومهم ويهجيهم لفعلهم لأنهم جعلوا يساراً سيداً لقوم الحارث بعدما كان غلاماً عند الشاعر وإنما فعلوا هذا ليرضوا نساءهم...

ونرى ان بعض الشعراء قد بالغوا في الاستهزاء من الخصم وهجائه من خلال تتبع عيوبهم والاسراف في ذكرها للسخرية منه فمن ذلك قول زهير بن ابي سلمى:

وما أدري ولسوف اخال ادري اقول آل حصن أم نساءُ ؟

فأن تكن النساء مخبأت فحق لكل محصنة هداءُ[23]

هذا النوع من التجاهل الساخر نجد فيه صيغة الذم وهو من أشد أنواع الهجاء[24].

والمعروف عن زهير بن ابي سلمى انه يستعمل ويكثر من استعمال (التهكم) في الحديث ويتغزل بها عن الناس من ذلك ؛ قوله:

فتغل لكم ما لا تغل لأهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهِمِ[25]

ويستعير عمر بن كلثوم (القرى) في أبيات يهجو بكر ويفخر بنفسه ؛ فيقول متهكماً:

نزلتم منزل الاضياف منا فأعجلنا القرى ان تشتمونا

قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا[26]

نلاحظ سخرية واضحة في البيتين حيث جعل اعدائه اضيافاً يستحقون الاكرام وهم عجلوا بالقرى حتى لا يتهموا بالتقصير.

أما الأبيات التي تحمل معنى الاستهزاء المائل إلى الاستخفاف فهي قليلة في السخرية الجاهلية، من ذلك قول امرؤ القيس لما فرقت عليه بنو نبهان فرقاً من معزى ليحلبها ؛ فقال استخفافاً:

اذا مالم تكن إبل فمعزى كأن قرون جلتها العصى

اذا ما قام حالبها ارنت كأن القوم نعمى[27]

أو قد يتهكم الشاعر ويستخف بقومه ؛ من ذلك قول قريط بن انيف المزني:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ومن اساءة أهل السوء إحسانا

كأن ربلٌ لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنساناً[28]**ج**

وبلفظ التهكم الذي يخرج للاستخفاف يقول عامر المحاربي يناقض الحصين بن الحمام المري:

يُغني حصين بالحجاز بناته واعيا عليه الفخر الا تهكما

وان لنشفي صورة التيس مثله ونضربه حتى نَبُلَّ استهُ دما[29]

(فأبلغ المهجو ما جرى مجرى الهزل والتهافت)[30].

وللنابغة الذبياني نصيبٌ وافرٌ من الهجاء الساخر وقد خصص قصائد كاملة نحو القبائل العربية والزعماء الذين يضمرون الحقد والظغينة للشاعر ولقومه ؛ فكان لا بد للشاعر ان يكون مستعلياً عليهم مستهتراً بهم ومذلاً لهم ومن ذلك سخريته من عامر بن الطفيل الذي عيره بالجهل فقال:

فأن يك عامر قد قال جهلاً فأن مظنة الجهل الشباب

فكن كأبيك أو كأبي براء توافقك الحكومة والصواب

ولا تذهب بحلمك طاميات من الخيلاء ليس لهن باب

فأنك سوف تحلم أو تناهى اذا ما شبت أو شاب الغراب[31]

فالنابغة يسخر من عامر بن الطفيل من حيث آرائه وتصرفاته الطائشة وينفي عنه الحلم والحكمة التي يجب على رؤساء القبائل والسادة ان يتصفون بها فقد حقر الشاعر عامراً وسخر منه من حيث الجهل الذي نسب إليه وابتعاده عن الحلم والرزانة.

ويستمر النابغة في سخريته التي خرجت إلى السفاهة والجهل وما اسوأها من صفة ان اتصف بها الرجل العربي وهذا ما جاء في قوله الذي اتهم زرعة بن عمرو في قصيدة هجاه بها واتهمه بأنه بعيد عن الشعر ولا منسوب إليه على عكس النابغة المشهور بشعره وحكمته وأخذ الشاعر يسخر منه ويتوعده، بقوله:

نُبئتُ زرعة والسفاهة كاسمها يُهدي الى غرائب الاشعار

فصلفتُ يا زرع بن عمرو انني مما يشق على العدو ضراري
أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني تحت العجاج فما شفقت غُباري
انا اقتسمنا خطتينا بيننا فعملتُ برّة واحتملت فجار
فلتأتينك قصائدٌ وليدفعن جيشنا إليك قوادم الاكوار (32)

ويسرد الأصبع العدواني لنا ما حدث بينه وبين ابن عمه من تهكم وتجاوز والذي راح يهدد ويتوعد باسلوب ساخر حيث يقول:

لي ابن عم على ما كان من خلق مختلفان فاقليه ويقليني
أزرى بنا شالت تعامنا فخالني دونه وخلته دوني
يا عمرو لا تدع شمتي ومنقصتي اضربك حيث تقول الهامة اسقوني
لاه ابن عمك ى افضلت في حسب عني، ولا انت دياني فتخزوني
لولا تقوت عيالي يوم مسبغة ولا بنفسك في الفراء تكفيني(33)

ثانياً: الاستهزاء والسخرية من اللون الاسود

السواد هو لون العبيد والذي يدل على عبودية الشاعر وكان هذا حملاً على الشاعر وثقلاً ولا سيما عندما يرتبط سواده بسخرية الاخرين والشاعر سحيم عبد بني الحسحاس كان مدركاً لذلك فابتعد عن المحاسن الجميلة التي تجعله مرغوباً بين النسوة ولكن القدر كان غاضباً عليه – حسب اعتقاده – وقد ابتلاه بالسواد وبإمه السوداء. مما جعله محل سخرية واستهزاء لدى الآخرين ؛ يقول الشاعر:

فلو كنت ورداً لونه لعشقتني ولكن ربي شانني بسواديا
فما ضرني ان كانت امي وليدة تصرُّ وتبري باللقاح التواديا(34)

والذي يؤلم الشاعر كثيراً ويجرح مشاعره والذي يقلل من قيمته ما يصدر من سخرية المرأة للشاعر وهذا ما جعله يحز في نفسه ولا سيما اذا كانت سخريتها من سواد لونه وقبح شكله واستهزائها بشعره وانكارها اياه ؛ إذ يقول:

أشارت بمدارها وقالت لتربها: أعبدُ بني الحسحاس يزجي القوافيا
رت قتباً رثا، وسحق عباءةٍ واسود مما يملك الناسُ عارياً(35)

ويحاول الشاعر في هذهِ الأبيات ان يوضح تعالي المرأة عليه وسخريتها منه (فهي تتعالى عليه لأنه دونها وتحتقره، لأن البيئة نمت في نفسها هذا الشموخ على العبيد... ولا شك ان مثل هذه النظرة من الجنس الآخر سيكون لها صدى في نفس العبد)(36).

وما كانت ردة فعل الشعراء أمام هذهِ السخرية هي التجمد والاستماع لسخرياتهم فقط وإنما كانوا يحاولون ان يبرزوا صفاتهم الحسنة من شجاعة وبسالة ومقدرة والاجابة للمستغيث والدفاع عن القبيلة ويتحدون الآخرين، فهذا عنترة ابن شداد يصدم الآخرين ويواجههم بشعره ؛ إذ يقول:

لئن اكُ اسوداً، فالمسك لوني وما لسواد جلدي من دواء
ولكن تبعد الفحشاء عني كبعد الأرض عن جو السماء(37)

فالشاعر يطلب من الساخرين ان ينتبهوا إلى خصاله الحسنة فالمسك لونه فأي واحد من الساخرين على لونه يكره ان يعطر المسك نفسهُ ؛ ويقول أيضاً:

وان كان جلدي يرى اسودا فلي في المكارم عزٌ ورتبة[38]

ويدافع عنترة عن نفسه ويعلن تمييزه عن الباقين من اصحاب البشرة السوداء والبيضاء ؛ إذ يقول:

سوادي بياض حين تبدو شمائلي وفعلي على الانساب يزهو ويفتخر[39]

ويصرخ الشاعر بوجه من عيَّره بسواد بشرته حتى وان كانوا من قومه وأهله لأن الاهل والقوم لا يستهزؤون بإبن قبيلتهم، وهذا اشد وقعاً على الشاعر:

تعيرني العدا بسواد جلدي وبيض خصائلي تمحو السوادا[40]

ويقول ابن شداد في أخرى:

يغيبون لوني بالسواد وإنما فعلهم بالخبث اسود من جلدي[41]

ويحاول الشاعر ان يدافع عن نفسه من خلال تحدياته للساخرين الذين عيبوا لونه:

وان يعيبوا سواداً قد كسبت به فالدر يستره ثوب من الصدق[42]

الا ان حال عنترة لا يختلف عن حال الشعراء الآخرين من ناحية استهزاء المرأة به وسخريتها الممزوجة بالضحك وانها لا تختلف عن المجتمع الذي سارت معه ؛ فيقول:

ضحكت عبلة إذ رأتني عارياً خلق القميص وساعدي مخدوش

لا تضحكي مني عبيلة واعجبي مني اذا التفت عليّ جيوش[43]

ويصور عنترة صورة ساخرة من عبلة للفارس البطل الذي لم تهتم به وهو موجود تحت ثيابه البالية ؛ إذ يقول:

عجبت عبيلة من فتى متبذل عاري الاشاجع شاحب كالمنصل

شعث المفارق منهج سرباله لم يدهن حولاً ولم يترجل

لا يكتسي الا الحديد اذا اكتسى وكذاك كل مغاور مستبسل

قد طال ما لبس الحديد فإنما صدأ الحديد بجلده لم يغسل

فتضاحكت عجباً، وقالت يا فتى لا خير فيك كأنها لم تحفل

أما تريني قد نحلتُ ولم يكن غرضاً لأطراف الاسنة ينحلِ[44]

ومهما كانت بطولته وشاعريته الا ان القوم لم يتركوه بحاله وشأنه فقد عيَّروه بنسبه وبسواده وبأمه وضعف منزلته وانهم لا يلجأؤون الا إليه ولكن عند انزياح الكرب ينكروا فضله على قومه ؛ إذ يقول:

ينادوني وخيل الموت تجري معلك لا يعادله محل

وقد أمسوا يعيبوني بأمي ولوني كلما عقدوا وحلوا [45]

وأخيراً لقد لقي عنترة بسبب الاعراف القبلية سخرية لعبوديته وسواد لونه وقد ترك هذا أثراً نفسياً على الشاعر وكان لا بد للشاعر من الهروب إلى الحرب[46].

ثالثاً: السخرية من الأهل والأقارب والاستهزاء بهم

والسخرية عند بعض الشعراء تأخذ مجرى التهكم ويرتفع عنده الحال ليبلغ حدود السخرية إلى حدود الكاريكاتير وهذا واضح من هجاء وسخرية الحطيئة لأمه وأبيه ولزوجته بل وحتى وصل به الحال للاستهزاء بنفسه حين قال:

ابت شفتاي اليوم إلا تكلما بشراً فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبح من وجه وقُبح حامله[47]

وشخصية الحطيئة الناشئة على السخط فهو ساخط على كل ما حوله وأكثر ما كان سخطه على الزمن الذي جعله ابناً لأمه من جهة وقبح شكله من جهة ثانية.

وكان سبب سخطه واستهزائه بأمه بسبب زواجها من رجل آخر غير أبيه ؛ فقال فيها:

جزاك الله شرً من عجوز ولقاك العقوق من البنينا

تنعي فاجلسي مني بعيداً أراك الله منك العالمينا

اغربالاً اذا استودعت سراً وكانونا على المتحدثينا[48]

وقال في عمه وخاله ساخراً وهاجياً:

لحالك الله ثم لحاك حقاً أبا ولحاك من عم وخال

جمعت اللؤم لا حياك ربي وأبواب السفاهة والضلال

فنعم الشيخ انت لدى المخازي وبئس الشيخ انت لدى المعالي[49]

وقد يتسم الاستهزاء الممزوج بالهجاء بوسمة الدعابة فضلاً عن التهكم وكما هو الحال عند الحطيئة عندما هجا وسخر من زوجته التي لم تسلم من لسانه ؛ فقال:

لها مضحك كالحش تحسب انها اذا ضحكت في أوجه الناس تسلخ

اذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوذ منها حين يمسي ويصبح

لها جسم برغوث وساق بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح

تبرق عيناها اذا ما رأيتها وتعبس في وجه الجليس وتكلح[50]

رابعاً: الاستهزاء والسخرية من الشيب

ان استهزاء وسخرية الباقين من الشاعر ولا سيما عاذلته وزوجته خلف في قلب الشاعر من الآلام والحزن والقهر لأن المرأة هي الملهم الأول للشاعر ؛ فكيف اذا كان هذا الملهم هو من يسخر منه ولا سيما من شيبه، ويصف تميم بن ابي مقبل استهزاء عاذلته من شيبه بقوله:

قالت سليمى ببطن القاع من سُرح: لا خير في العيش بعد الشيب والكبر

واستهزأت تربها مني فقلت لها: ماذا تعيبان مني يا ابنتي عصر ؟

ان ينقض الدهر مني مرة لبلى فالدهر أورد بالأقوام ذو غير

لقد قضيت فلا تستهزئا سفهاً مما تقماتهُ من لذّةٍ وطري[51]

ونلاحظ ان الشاعر لا يبق ساكتاً تجاه المرأة ويحاول الرد عليها ويبرر ليداري خيبة أمله وحزنه وهو في موقف التعجب من تصرفها الساخر والشامت ؛ وهذا ما فعله المثقب العبدي، إذ يقول:

تهزأت عرسي واستنكرت شيبي ففيها جتف وازورارُ
لا تكثري هزءاً ولا تعجبي فليس الشيب على المرء عارُ
ولا أرى مالاً اذا لم يكن زعف وخطار ونهد مفارُ
فذاك عصر قد خلا والفتى تلوى لياليه به والنهارُ [52]

والاستهزاء يكون تهكماً وسخرية وقد يكون لهواً وعبثاً أي قد يكون فكاهة ودعابة...

خامساً: الاستهزاء والسخرية من أمور أخرى

وظهرت سخرية المرأة في أمور أخرى غير موضوع الشيب وهي تتعمد على التقاط العيوب وتصويرها بطريقة مضحكة، منها قول عروة بن الورد:

اني امرؤ عافى إنائي شركة وانت امرؤ عافى انائك واحد
اتهزأ مني ان سمنت وان ترى بجسمي شحوب الحق والحق جاهد
اقسمُ حسمي في جسوم كثيرة واحسو قراح الماء والماءُ باردُ[53]

وهناك باعث نفسي يثير قلق الشاعر ويتألم منه كثيراً وهو تعييره بقلة عدد قومه ضمن اطار المفاخرة بالقبيلة وكثرة عددها وفرسانها وما كان على الشاعر الا الرد على خصومه الذين سخروا منه ومن قبيلته وهذا ما حدث مع السمؤال ؛ الذي يقول:

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا عزير وجار الأكثرين ذليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى وكهول[54]

ويأتي الضحك في الشعر بمعنى الاستهزاء ويقول عبد يغوث في ضحك المرأة واستهزاءها:

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترقبلي اسيراً يمانياً[55]

والضحك يكون تهكماً وسخرية وقد يكون عبثاً ولهواً ومجانة وقد يكون فكاهة[56].

ونرى بعض الشعراء قد بالغوا في الاستهزاء وافرطوا فيه وهو قريب لديهم من الهجاء من خصومهم " فمن ذلك الحطيئة يغرق في ذكر البخل وحده[57] ؛ ويرسم لنا صورة ساخرة للبخل، بقوله:

كدحت بأظفاري واعملت معولي فصادفت جلموداً من الصخر املسا
تشاغل لما جئت في وجه حاجتي واطرق حتى قلت قد مات أو عسى
واجمعت ان انعاه حين رأيته يفوق فواق الموت حتى تنفسا
فقلت له: لا بأس لست بعائد فافرخ تعلوا السمادير مبلسا [58]

سادساً: الاستهزاء والسخرية في الأمثال

على ان الاستهزاء والسخرية ليس مقصوراً على الشعر فحسب بل ان للنثر نصيب من هذا وهو النثر الساخر ولا سيما في الأمثال؛ إذ يقول العرب:

1- (ذكرني فوك حماري لأهلي)[59].

أصل المثل هو أنه خرج رجل لشراء حمارين فرأى امرأة واعجبته فترك الحمارين وبقى بجوار المرأة ولكنها لما كشفت عن وجهها، رأى فمها قبيحاً، فقال هذا المثل.

2- (واسعتهم سباً واودوا بالابل)[60]

وهو أنه أُغير على ابل رجل فأُخذت منه وأخذ هو يسبهم، ولما رجع إلى قومه، سألوه عن الابل، فقال هذا المثل. وهو من باب السخرية.

3- (رب كلمة تقول لصاحبها دعني)[61]

ويقال في النهي عن الاكثار مخافة الاهجار لأن كلمة (دعني) تكون سبباً في مصيبة ويطلب منه ان لا يقولها لأنها في غير محلها.

الاستنتاجات

1) قامت هذه الدراسة حول السخرية والاستهزاء في العصر الجاهلي وقد اظهرت النتائج ان سبب السخرية هي الظروف الاجتماعية التي أثرت على المجتمع عامة والفرد خاصة.
2) اذا حاولنا دراسة السخرية والاستهزاء في الأدب الجاهلي فيجب البحث عن الألفاظ التي تدل عليها مثل (سخر وساخر وضحك وهزء وهكم...).
3) وعند الدراسة تبين لنا ان هنالك فرق بين الاستهزاء والسخرية وهو انه ليس كل استهزاء سخرية وإنما كل سخرية استهزاء.
4) الغرض من السخرية هو لتحقير أقوال وأفعال الآخرين والطعن بأخلاقهم ونسبهم وحسبهم.
5) ومن أسباب السخرية والاستهزاء هو:

أ- التقليل من شأن الشخص ووضع مكانته.

ب- ربما كان لديه حب النفس والتكبر على الآخرين والحاق الضرر بهم والغيرة منهم.

ج- ربما سوء التربية كان لها واقع مؤلم والذي يولد لديه الحقد عليهم.

د- المحاولة في اضحاك الآخرين بالترفيه.

هـ- ربما هي محاولة من الساخر للهروب من سؤال محرج ما.

6) ومن سماتهم الصدق في تصوير العاطفة فلا نجد للمبالغة والتهويل أي طريق في اشعارهم.
7) يكون النثر الساخر واضحاً وأكثر وضوحاً في الأمثال أي في الجمل القصيرة نوعاً ما التي تمتاز بقوة اللفظ، وقصير الجمل.
8) وتخرج السخرية إلى معانٍ عدة هي:

1- الخروج إلى التهكم.

2- الخروج إلى الاستخفاف.

3- الخروج إلى التجاهل.

4- الخروج إلى التهديد.

5- الخروج إلى الفكاهة.

9) ويدخل القول الفاحش مع الهجاء ولا سيما في موضوع التهكم وانها تقريباً يشتركان في الموضوع ولا يشتركان في الاسلوب.

10) غالباً ما يأتي الشاعر عند السخرية من قبل المرأة بألفاظ تدل على واقع الحال مثل (ضاحكة وساخرة وهزئت...).

11) وللسخرية اتجاهان أحدهما مختلط بالهجاء والثاني مائل إلى الفكاهة والدعابة والكاريكاتير.

12) ومن خلال قراءة النصوص المتعلقة بالاستهزاء والسخرية وجدنا ان الاستهزاء والسخرية من الخصم كان من أكثر الموضوعات تداولاً وسخرية في العصر الجاهلي ومن ثم يأتي بعده السخرية من اللون الاسود ومن ثم يأتي السخرية والاستهزاء من الشيب الى ان نصل المرتبة الأخيرة وهي الاستهزاء والسخرية من الأهل والأقارب.

المصادر

- القرآن الكريم.

1- ابن الرومي حياته وشعره، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2013م.

2- احياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت205هـ)، دار الشعب، د.ت.

3- تاريخ الأدب العربي، د. احمد حسن الزيات، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.

4- تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، حققه أبو اسحاق الحويني، دار ابن الجوزي.

5- ديوان الحطيئة شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني، تحقيق: نعمان أمين طه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1958م.

6- ديوان السمؤال بن عادياء، طبعة دار صادر، بيروت، 1964م.

7- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، (د.ت).

8- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف مصر، سلسلة ذخائر العرب، 1958م.

9- ديوان تميم بن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي، الطبعة الأولى، 1995م.

10- ديوان ذي الاصبع العدواني، تحقيق: عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نايف الدليمي، الموصل، مطبعة الجمهورية، 1973م.

11- ديوان سحيم عبد بنس الحسحاس، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1950م.

12- ديوان شعر المثقب العبدي، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1971م.

13- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب، لطفي الصقال مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1975م.

14- ديوان عبيد بن الابرص، تحقيق: حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1957م.
15- ديوان عروة بن الورد، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دار احياء التراث القديم، دمشق، د.ت.
16- ديوان عمر بن كلثوم، تحقيق: اميل يعقوب، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، 1991م.
17- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق: محمد سعيد مولوي، مطبوعات المكتب الاسلامي، القاهرة، 1964م.
18- شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة السعادة، مصر، (د.ت).
19- شرح ديوان زهير بن ابي سلمى، صنعة الامام ابي العباس احمد بن يحيى ابن زيد ثعلب (ت291هـ)، دار الكتب سنة 1944م، الدار القومية للطباعة، 1964م.
20- صحيح البخاري، تأليف محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الاولى، 1422هـ.
21- صحيح مسلم، ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الطباعة العامرة، اسطنبول، 1324هـ.
22- العمدة في محاسن الشاعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني (ت456هـ)، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجبل والنشر بيروت، الطبعة الرابعة، 1972م.
23- الفتاوى الكبرى، المؤلف: احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، 1987م.
24- لسان العرب، لابن منظور (ت711هـ)، دار صادر، بيروت، 1968م.
25- مجمع الامثال، للميداني (ت518هـ)، الناشر عبد الرحمن محمد، مصر، 1353م.
26- المفضليات، ابو العباس المفضل محمد بن ابي يعلي الضبي (ت178هـ) تحقيق: احمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الثالثة، 1964م.
27- الوساطة بين المتنبي وخصومه، المؤلف: علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، 1966م.

الهوامـــــش

[1]- **ينظر: لسان العرب مادة سخر.**
[2]- **ينظر: لسان اعرب مادة هزء.**
[3]- **ينظر: احياء علوم الدين للغزالي: 192.**
[4]- **الفتاوى الكبرى: 22/6.**
[5]- **سورة الحجرات: الآية 11.**
[6]- **م.ن: الآية 11.**
[7]- **ينظر: تفسير ابن كثير: 247/7.**

[8]– سورة المطففين: الآية 29–34.

[9]– سورة الزمر: الآية 56.

[10]– صحيح مسلم: 2564.

[11]– سابببتُ رجلاً: هذا الرجل هو بلال الحبشي مؤذن الرسول (ﷺ).

[12]– عيرته بأمه: نسبته إلى العار

[13]– فيك جاهلية: أي خصلة جاهلية.

[14]– صحيح البخاري: 5590.

[15]– شرح ديوانه: 55.

[16]– م.ن: 175.

[17]– م.ن: 50.

[18]– شرح ديوانه: 96.

[19]– م.ن: 6.

[20]– م.ن: 98.

[21]– ينظر: مجمع الامثال: 18/2.

[22]– شرح ديوانه: 48–49.

[23]– م.ن: 72.

[24]– ينظر: العمدة: 846/2.

[25]– ديوانه: 9.

[26]– ديوانه: 73.

[27]– م.ن: 335.

[28]– المفضليات: 300.

[29]– م.ن: 318.

[30]– الوساطة بين المتنبي وخصومه: 24.

[31]– ديوانه: 109.

[32]– م.ن: 54–55.

[33]– ديوانه: 89.

[34]– م.ن: 26.

[35]– ديوانه: 73.

[36]– سحيم عبد بني الحسحاس: 280.

[37]– ديوانه: 88.

[38]– م.ن: 124

[39]– م.ن: 146.

[40]– ديوانه: 124.

[41]– م.ن: 129.

[42]– م.ن: 172.

[43]– م.ن: 162.

[44]–ديوانه: 59.

[45]– م.ن: 189.

[46]– ينظر: ديوانه: 249–250.

[47]– م.ن: 282.

[48]– ديوانه: 168.

[49]– م.ن: 187.

[50]– م.ن: 60.

[51]–ديوانه: 69–70.

[52]– م.ن: 274.

[53]– ديوانه: 61.

[54]– م.ن: 10–11.

[55]– المفضليات: 158

[56]– ينظر: ابن الرومي حياته وشعره، للعقاد: 120–121.

[57]– نقد الشعر: 99.

[58]– ديوانه: 122.

[59]– تاريخ الادب العربي للزيات: 24.

[60]– م.ن: 24.

[61]– م.ن: 24.